الفصل الثالث
الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

يناقش هذا الفصل خبرة الرفاه السياسية في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حزب الرفاه من التأسيس إلي السلطة (1983 - 1996)

المبحث الثاني: أيديولجية حزب الرفاه وبرنامجه

المبحث الثالث: التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه

الفصل الثالث:
الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997م)

الخبرة السياسية لحزب الرفاه (1983 - 1997 م):

يناقش هذا الفصل أداء حزب الرفاه كفاعل سياسي في الحياة الحزبية التركية وكيف استطاع أن يحقق صعوداً مذهلا في الحياة السياسية التركية مكنته من الفوز الكاسح في الانتخابات البلدية عام 1994 م ثم الانتخابات النيابية عام 1995 ثم صعوده إلي السلطة والحكم في تركيا عام 1997وسط أنواء السياسة التركية العلمانية التي عصفت بوجوده السياسي فأصدرت المحكمة الدستورية حكماً بإغلاقه واعتباره حزباً غير مشروع عام 1998.

الخبرة الأساسية للرفاه تقول: إن الإسلاميين الأتراك في السلطة كانوا أكثر وفاءً لقواعد الديموقراطية من بقية الأحزاب التركية الأخري في اليمين واليسار، وأنهم مارسوا العمل السياسي المدني علي أرضية الالتزام بالقانون والوعي بالفرص والقيود التي يتيحها النظام السياسي التركي.

وسيظل " الرفاه " تجربة مهمة يمكن القول: إنها التجربة الأساس والتي يمكن المقارنة بها في علاقة التيارات الإسلامية بنظمها العلمانية، كما أن التطورات الفكرية والسياسية التي عرفتها هذه التيارات أخذت في الحسبان تجربة الرفاه السياسية.

ويطرح الرفاه أيضاً السؤال الأساسي في السياسة العربية والإسلامية والكونية اليوم وهو كيف يمكن التأسيس لنظم ديموقراطية حقيقية لا تستثني الإسلاميين منها.

يمثل حزب الرفاه في تركيا استمراراً لما عرف باسم " الوجه السياسي للحركة الإسلامية في تركيا، وكما يقول " هاينتس كرامر:

" كان حزب الرفاه أكثر بكثير من مجرد الوجه التنظيمي للإسلام السياسي ؛ إذ لم يعد الخيار الحقيقي بالنسبة للأتراك في عملية تصميم دولة حديثة قادرة على مواجهة تحديات القرن الواحد والعشرين، خياراً بين كمالية علمانية من ناحية، وإسلام سياسي أصولي من ناحية ثانية ولكن الخيار الحقيقي هو الخيار بين أسلوب قائم على الدولة الأكثر تسلطاً في تنظيم مجتمع سريع التغير يشكل الإسلام فيه عاملاً اجتماعياً يتعذر استئصاله من جهة، وأسلوب قائم على مجتمع مدني أكثر ديموقراطية في التعامل مع عملية التغيير من جهة ثانية " (1).

أي أن " الرفاه " وانتصاره السياسي الكاسح في الانتخابات البلدية التي جرت في 27 مارس 1994 م والتي فاز فيها بنسبة 19.7%، ثم انتصاره المفاجئ والكبير في الانتخابات النيابية التي جرت في 24 ديسمبر 1995 م وحصوله على المركز الأول بنسبة 21.32% أي ما يعادل ستة ملايين صوت متقدماً بذلك على الأحزاب السياسية الأخري **كان تعبيراً عن التحولات الجديدة في المجتمع والدولة التركية والتي أطلق عليها " الجمهورية الثانية "** (2)، وهي تلك التي أرساها في الواقع

(1) هاينتس كرامر، تركيا المتغيرة تبحث عن ثوب جديد، م. س. ذ، ص 106.

(2) عن الجمهورية الثانية راجع: محمد نور الدين، **تركيا في الزمن المتحول**، بيروت: دار ضياء الريس، 1997، ط1، ص 18 حيث أشار إلي أن " محمد ألتان " الأستاذ الجامعي والكاتب في صحيفة

" تورجوت أوزال " بجسارة تعبر عن ثاقب فهمه لضرورة الاستجابة للتحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية العميقة التي حفرت لنفسها تواجداً مس البنية الأساسية التقليدية التي قامت عليها الجمهورية الأولي التي أسسها " أتاتورك "، **والجمهورية الثانية التي عبر الرفاه بصعوده الكبير عن تطلعاتها وروحها أنها "[1] : هي تعبير عن حالة أكثر إنسانية وتعددية وشفافية وأكثر احتراماً لهوية وثقافة المجتمع التركي والتي يقع الإسلام في قلبها**، فهو تعبير عن حاجة المجتمع التركي لدولة أكثر تعددية غير متسلطة تتجاوب مع روح مجتمعها ومزاجه إلي الحرية والانسجام والتوافق عبر حقه في اختيار هويته. **فالكاتب التركي " أنيس باتور " قال " : لقد انتهت الجمهورية الأولي بمدرستها ومستشفاها وسجنها ومحكمتها وبرلمانها " ويري أن الجمهورية الثانية ضرورية لسبب بسيط وهو أن الأولي انتهت** " [2].

" صباح " هو الذي أطلق فكرة " الجمهورية الثانية " كتعبير عن الوجه الداخلي " للعثمانية الجديدة " التي أطلقها " أوزال " وتعبر عن ضرورة استغلال تركيا للعب دور خارجي فعال بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

(1) هو أهم سياسي تركي بعد " أتاتورك "، أسس حزب الوطن الأم " عام 1983 م وتولي رئاسته ورئاسة الحكومة بين عامي 1983 - 1989 وأصبح رئيساً للجمهورية في 31 أكتوبر 1989 م، أنهي دراسته في جامعة اسطنبول التقنية وتخصص في اقتصاد الهندسة الذي حازه من أمريكا عمل مستشاراً لهيئة تخطيط الدولة عام 1967 م ودافع عن وجهة نظره بإطلاق المشروعات الخاصة بدلا من التخطيط الموجه، عمل مستشاراً في دائرة الصناعة بالبنك الدولي حتي العام 1973 م، ترشح في الانتخابات النيابية عام 1977 م عن حزب السلامة الوطني بمنطقة أزمير ولكنه لم ينجح، قاد تحول الاقتصاد التركي ناحية الليبرالية الاقتصادية عندما كان مستشاراً " لديميريل " ونائباً لرئيس هيئة تخطيط الدولة، بعد انقلاب 12 سبتمبر 1980 تولي منصب نائب رئيس الحكومة المسئول عن الشئون الاقتصادية في حكومة " بولنت أولوصو " لكنه استقال عام 1982 م، توفي في 17 إبريل عام 1993 م. حاول تقليص سلطة العسكر وعمل علي بناء مجتمع مدني ديموقراطي يحترم الدين ويضعه ضمن مشروعه. فتح الباب واسعاً لمجئ الرفاه بعد ذلك بقوة إلي الحياة السياسية.

(2) محمد نور الدين، تركيا المتحولة، م. س. ذ، ص 39.

" تورجوت أوزال " هو رجل الدولة التركي الثاني بعد " أتاتورك " الذي جاء ببرنامج متكامل مختلف جوهره " الاقتصاد الحر " وتحرير التجارة والأسعار " وهو ما يعني تقليص دور الدولة في سطوتها علي مجتمعها ومراجعة الكمالية " وأسسها التي قامت علي فكرة " الدولتية "، **فهو أول مسئول رسمي رفيع المستوي في تركيا يدعو إلي انتقاد " أتاتورك " وإظهار ما له وما عليه واعتبر نفسه " أتاتورك ثان "** ولكن مختلفاً عنه لذا كانت صلاته وعلاقاته قوية بخصوم أتاتورك وعلي رأسهم الاتجاه الإسلامي، **فقد دعا قبل فترة قصيرة من وفاته إلي طرح مبدأ " علمنة الدولة " علي بساط البحث والمناقشة ما دامت قطاعات من الشعب تعارضها**، وهو طرح حقوق الأقلية الكردية في تركيا في سياق مختلف يري ضرورة الاستماع لمطالبهم، **وهو أول رئيس جمهورية تركي ثابر علناً وبصورة منتظمة علي أداء الفروض الدينية وزيارة أضرحة الأولياء داخل تركيا وخارجها**، وأدي فريضة الحج في أول توليه السلطة كرئيس للحكومة عام 1983 م، وانتعشت في عهده بطريقة غير مسبوقة الحالة الإسلامية بكل أطيافها فيما يمكن أن **نصفه " بالإحياء الإسلامي الثاني " في تركيا**، ولذا كان حزب " الوطن الأم " يحصد أصوات الإسلاميين جميعاً، وأوزال " هو من أرسي قواعد ما عرف باسم " العثمانية الجديدة " فقد لاحت له فرصة انهيار الاتحاد السوفيتي كسبيل لا يجوز تركه لتلعب تركيا دوراً في محيطها الإقليمي التركي الواسع وأشار إلي الأعمال الكثيرة التي تنتظر تركيا انجازها من البحر الإدرياتيك إلي سور الصين مشدداً علي أن هذه فرصة تلوح لأول مرة منذ ألف سنة، **فالعثمانية الجديدة في الخارج والجمهورية الثانية في الداخل والذي أرساهما بقوة لا تباري " تورجوت أوزال " كانا هما الجسر الذي عبر علي ظهره " حزب الرفاه " وزعيمه " نجم الدين أربكان " إلي السلطة في تركيا يوم السبت**

الموافق 29 يونيـة 1996 م، للتعبيـر عـن صـيغة جديـدة للعلاقـة بـين الدولـة والمجتمع في تركيا تعبر عنها أجيال جديدة وقوي اجتماعية لم يقدر للناس أن تختبر أفكارها وخبراتها وممارساتها[1].

سوف نلاحظ أن مجئ الرفاه إلي السلطة أعقب تصدع حزب " الوطن الأم " عام 1991 م وخروج التيار الإسلامي منه عام 1992 م وفشل قوي اليمين واليسار معا خاصة بعد سقوط الشيوعية في الاتحاد السوفيتي أن تطرح نفسها كقوة لها مصداقية أمام المواطن التركي، ومن هنا كان " الرفاه " هو الحصان الأسود المرشح لملء الفراغ في الحياة السياسية التركية.

إذن الرفاه " لم يكن مجرد ملمح من ملامح انتصار الحركة الإسلامية في تركيا علي الصعيد السياسي وإنما كان تعبيراً عن خيار تركيا نحو دولة ديموقراطية وتعددية ومؤسسية ودعنا نقول " دولة طبيعية " لا تؤله " أتاتورك " ولا تصنم أيديولوجيته وتعترف بالمشاكل الحقيقية للمجتمع التركي وحتي تتضح هذه الفكرة فإننا نورد ما قاله مسئول الرفاه في اسطنبول: " يمكن بمفهوم ما خارج الأيديولوجيا الرسمية إيجاد حل للأزمات الحالية في المجتمع التركي، إننا لا نجرؤ حتي علي مجرد الحديث ومناقشة قضايانا الراهنة في ظل ضغط الأيديولوجيا الرسمية وتهديدها، إننا عندما نتحادث ونتناقش نكون وجها لوجه أمام خطرالمعاقبة، إن لم تحل هذه المسألة فمن المتعذر حل المشاكل الأخري،

(1) عن أفكار " أوزال " وتأثيره علي التحولات الاجتماعية والسياسية في تركيا راجع: محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 46 ومابعدها وأيضا جلال معوض، الإسلام والتعددية في تركيا، م. س. ذ، 15 - 18 حيث تابع الانعكاسات السياسية للأصول الدينية علي سلوك القادة.

انظروا اليوم لا نستطيع أن نناقش بالصراحة الكافية المسألة الكردية، **لقد تشكل في تركيا مجتمع مغلق مستند علي القمع والخوف باسم الأيديولجيا الرسمية التي تواصل حتي الآن خصوصية كونها طوطما**[1]، وعلي الجانب الآخر نورد ما قاله " بولنت أجاويد " بصدد تفسيره لانهيار اليسار بقوله: " إن الأصوات التي حصدها الإسلاميون هي أصوات " خيبة أمل " بالأحزاب الأخري في السلطة والمعارضة، وفي هذه الحال يتجه الناخبون إلي الأحزاب الأصولية كما حصل في الجزائر وبنسبة ما الأردن وكما يحصل الآن في تركيا[2]، ويتفق مع هذا التحليل نائب بارز من حزب الطريق المستقيم بقوله " **عندما انهارت أيديولجية اليسار في تركيا بدأ الرفاه يولي اهتمامه بصورة كبيرة إلي الجماهير وقام بالدفاع عن الاشتراكية الإسلامية وسوف ترون في المستقبل القريب أن قسماً كبيراً جداً ممن كانوا يساريين متطرفين في تركيا سيقترعون للرفاه** " [1].

نشير هنا إلي ما يمكن أن نصفه بسياق عالمي (كوني) تمثل " بتيار أصولي " ديني في الغرب كان يتنامي هناك منذ أواخر الستينيات وظهرت بوادره خاصة في العلاقات مع العالم الإسلامي بعد انهيار الاتحاد السوفيتي في أوائل التسعينيات واعتبر الإسلام عدواً بديلاً وجديداً[2]، وظهر ذلك في أزمة البوسنة والهرسك والتي شهدت حملات

(1) محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 58.
(2) نفس المرجع، ص 58.
(1) نفس المرجع، ص 58.
(2) عن اعتبار الإسلام عدوا بديلا راجع مثلا صموئيل هنتنجتون، **صدام الحضارات**، جريدة الشرق الأوسط 1/21/ 1995، وراجع أيضا الكتاب المهم، فواز جرجس، **أمريكا والإسلام السياسي**، صراع الحضارات أو تضارب المصالح، القاهرة، الهيئة العامة للاستعلامات، كتب مترجمة (840) والكتاب يقدم رؤية الساسة وصناع القرار الأمريكيين للإسلام وللحركات الإسلامية

إبادة عرقية علي الهوية الدينية ومنع قيام دولة للمسلمين في البوسنة، وفي ألبانيا ظهرت الأيدي اليونانية واضحة في تحريكها للأقلية الأرثوذكسية، و في إقليم " كوسوفا " نفذت مذابح عرقية ضد الأغلبية المسلمة، وهي أزمات كان لها دوي كبير في تركيا وتأثير علي الوجدان والمزاج التركي **ومن ثم بدأ الوعي باكتشاف أهمية الدين في العلاقات الدولية وفي تكوين الهوية التركية خاصة حتي من قبل التيارات العلمانية** ".

" فمسعود يلماز " يقول: " **إن الدين محدد أساسي في الشخصية القومية التركية** " وتقدم باقتراح إعادة فتح جامع " أيا صوفيا " للعبادة مع نواب من حزب " الطريق القويم " وتشيلر قالت: " **نكون مالكين لميراثنا الإسلامي** " وجنكيز تشاندار " يقول: " **إن الإسلام في تركيا ليس ديناً فقط بل هو هوية وشخصية وثقافة** "، بل إن " يحي أوسلو " نائب " حزب الطريق المستقيم " طالب ببناء مسجد في حديقة القصر الجمهوري بأنقره واقترح مجموعة من نواب الحزب نفسه وحزب " الوطن الأم " وحزب الرفاه " بناء مئذنة بالمسجد الملحق بمبني البرلمان التركي.

وهناك عنوان مهم في الكتاب " تفسير دعاة المواجهة للإسلام " العدو الجديد " وهو ينقل آراء لبرنارد لويس وصمويل هنتنجتون، ودانيال بايبيس وغيرها من الأسماء التي تري الإسلام عدوا بديلا، ص24 ومابعدها وفي النقطة نفسها راجع، كمال حبيب، **تحولات الحركة الإسلامية والاستراتيجية الأمريكية**، القاهرة: مصر المحروسة، 2006، ط1، ص 199 ومابعدها ويورد المقال الخطير " لفوكوياما " الذي نشرته النيوزويك العربية بتاريخ 2001/12/25 بعنوان " **هدفهم العالم المعاصر** " وبالطبع هناك عشرات المراجع في الموضوع ولكنها لا تدخل في موضوع بحثنا بشكل مباشر.

وعشية انتخاب " طانسو تشيلر " رئيساً لحزب " الطريق المستقيم " ورئيسة لوزراء تركيا عام 1993 م عبرت عن سعادتها لرؤية العلم التركي (ذو الهلال والنجمة) وسماع الأذان والقرآن وكانت تفتتح خطبها بكلمات دينية وحين زارت القدس في نوفمبر 1994 غطت رأسها وأدت الصلاة في المسجد العمري المواجه للمسجد الأقصي، وفي مهرجان انتخابي لها عام 1995 أعلنت أنها تستمد قوتها أولا من الله ثم من الشعب وقبلت أمام الآلاف من أنصارها نسخة من القرآن الكريم أهديت لها.

وحتي " حكمت تشيتين " زعيم حزب الشعب الجمهوري والمدافع العتيد عن العلمانية قال لأنصاره في مايو 1994 م: " إنه يسلم أمر مرشح الحزب لرئاسة بلدية " اينيبولو " إلي الله أولاً ثم إلي الناخب " [1].

التحول في الرأي العام التركي ناحية الإسلام والتيارات المعبرة عنه هو الملمح الرئيسي للتحولات الاجتماعية والسياسية والثقافية في تركيا منذ أوائل التسعينيات والذي عبر عن نفسه في تسابق كافة الأحزاب السياسية بكافة أطيافها إلي أخذ ذلك في اعتبارها والتقرب إلي الرأي العام عبر إظهار التعاطف مع الإسلام[2].

كما أن اكتساح الرفاه للانتخابات البلدية في 27 مارس 1994 م، والانتخابات التشريعية العامة في 24 ديسمبر 1995 ثم الانتخابات البلدية

(1) محمد نور الدين، تركيا: **الكمالية في خط الدفاع أمام هجوم الإسلاميين**، مجلة الوسط، ع 177، 1995/6/19 م.

(2) محمد نور الدين، **الانتخابات التركية، أوروبا والإسلام وجها لوجه**، مجلة الوسط، ع 203، 1995/12/28، فهو ينقل عن تشيلر " قولها في إحدي خطبها " نحن مسلمون قبل أربكان بألف سنة " ولا تنسي أن تبدأ بالقرآن والأدعية الدينية في مهرجانات الانتخابات.

الجزئية في 2 يونية 1996 م[1]، جعل الأحزاب العلمانية تدرك أهمية الدين الإسلامي في وجدان المواطنين الأتراك كمعبر عن هويتهم ومن ثم تخففوا من العلمانية الإقصائية التي تنفي الدين وتهمشه وتختزله كما في الجمهورية الأولي التي أسسها " أتاتورك ".

فالجمهورية الثانية تأخذ في اعتبارها الدين كمكون رئيسي للهوية التركية، واتضح ذلك حين تقدم " غفار ياكين " النائب المستقل عن محافظة " أفيون " التركية باقتراح مشروع قانون يهدف لتعطيل العمل في الدوائر الحكومية لتمكين الموظفين من أداء صلاة الجمعة، وأشار إلي أن المادة 24 من الدستور التركي تنص علي حرية الفكر والاعتقاد الديني وأثار هذا المشروع عاصفة حول علمانية الدين وعلاقتها بالدين الإسلامي، وأيد المشروع رئيس " حزب الوطن الأم " مسعود يلماز وعبر عن دعمه الكامل للاقتراح واعتبر رئيس حركة " الديموقراطية الجديدة " علماني " جيم بوينر " الاقتراح من متطلبات الدولة العلمانية.

ووافق علي المشروع " بولنت أجاويد " رئيس حزب اليسار الديموقراطي واليساري المخضرم بل وقال: " إنه يوافق علي تعطيل العمل أثناء صلاة الجمعة وأثناء صلاة الظهر كل يوم وفي كل أنحاء تركيا " ورأي أنه ليس من الضروري إصدار قانون بالتعطيل أثناء صلاة الجمعة إذ تستطيع رئاسة الشئون الدينية أن تحدد ذلك بقرار فالمسألة فنية وليست سياسية، وفي مايو 1995 م وافق نواب حزب " الطريق المستقيم " والوطن الأم " والرفاه " علي إضافة ملحق لقانون يخفض الضرائب

(1) حدثت الانتخابات المحلية الفرعية في 2 يونية 1996 م، وأكد " الرفاه " فيها فوزه بنسبة 33.5% بينما لم تتجاوز النسبة التي حازها " الوطن الأم " و " الطريق المستقيم " مجتمعين معا 32.5% وصار واضحاً أن إجراء أي انتخابات نيابية مبكرة سوف تأتي لصالح الرفاه، ومن هنا كان قبول الجيش لمجئ الرفاه إلي السلطة متحالفاً مع الطريق القويم في 26 يونية 1996 م.

علي الاستثمارات والمساعدات المخصصة لبناء الجوامع والمساجد، وكان البرلمان قد أقر أن ساعات العمل فيه تنتهي مع مواقيت الإفطار في شهر رمضان[1].

وتبقي الإشارة إلي أن انقلاب الجيش التركي في عام 1980 ثم دستور 1982 م جاء في صالح الوعي بأهمية بناء صيغة لإسلام تركي TIS يحافظ علي الانتماء الوطني ويقاوم التيارات الشيوعية والعدمية والتخريبية وبصرف النظر عن شرعية الفكرة ذاتها لكنها صبت في تيار الصعود الإسلامي الجارف في تركيا طوال الثمانينيات والذي تكامل واستوي علي سوقه مع مجئ " الرفاه " إلي السلطة وتولي زعيمه " نجم الدين أربكان " رئاسة الوزراء كأول زعيم إسلامي في دولة علمانية وهو ما نظر إليه باعتباره حدثاً فارقا في التاريخ الإسلامي بما يحمله من دلالات ورموز ومعان[2]. إذن السياق العام للتحولات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وعلي كافة المناشط في تركيا كان يتجه بقوة إلي ماأطلقنا عليه " **الإحياء الإسلامي الثاني** " في تركيا والذي عبر عنه " الرفاه " بصعوده المستمر في كل الانتخابات التي خاضها منذ عام 1984 م وهو الحزب الوحيد في تركيا الذي كان يحقق ذلك.

يناقش هذا الفصل خبرة الرفاه السياسية في ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: حزب الرفاه من التأسيس إلي السلطة (1983 - 1996) .

المبحث الثاني: أيديولجية حزب الرفاه وبرنامجه .

(1) محمد نور الدين، الكمالية في خط الدفاع أمام الإسلاميين م. س. ذ ونفس الموضوع في كتاب تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 86 - 89.

(2) محمد نور الدين، تركيا في الزمن المتحول، م. س. ذ، ص 76 تحت عنوان " أربكان رئيساً للحكومة: إنقاذ النظام أم إنقاذ تركيا.

المبحث الثالث: التنظيم والممارسة السياسية لحزب الرفاه .

* * *